صدى حركة الجامعة الإسلامية في الجزائر

1- الدولة العثمانية والاحتلال الفرنسي للجزائر:

لم تبدِ الدّولة العثمانيّة اهتماما كثيرا للمصير الذي آلت إليه الجزائر بعد نهاية سلطانها فيها، في سنة 1830، وكان الأتراك يبررون عدم تدخلهم المباشر لصد العدوان الفرنسي، باعتقادهم أنّ "اوجاق الجزائر قادرون على صدّ العدوان".

والظاهر أنّ الجزائريّين بعثوا مرارا بنداءات الاستغاثة للسّلطان العثماني، لتخليصهم من سلطة "الكفّار"، ومنها عريضة ارسلت إلى وزير البحريّة، ويذكر أرجمند كوران، انّ العريضة كتبها حمدان أفندي بن عثمان خوجة، باسم إبراهيم باي بن مصطفى باشا، وقد أرسل وزير البحرية تلك العريضة إلى الباب العالي، ويشرح فيها ما يلاقيه الجزائريّن من الظلم .

تركّزت جهود العثمانيّين في البداية على الوسائل الدبلوماسيّة، من خلال تكثيف الاتّصالات وشرح الموقف فرنسيّا وأوربيّا، بالتّركيز خاصّة على بريطانيا، "فقد سعى الباب العالي لتامين مساعدة انكلترا طيلة استمرار القضية الجزائرية". وكان التّفكير جار في اسطنبول، حول استعمال الوسائل الحربيّة لاسترجاع الجزائر، خاصّة بعد صد الغزو الفرنسي على قسنطينة في 1836. وبلاء احمد باي في ذلك، حتى أن السلطان قد أضفى عليه لقب الباشا، إلاّ أنّ اختلال موازين القوى بينها وبين فرنسا ومختلف القوى الأوربية، لم يسمح بذلك. لكن وبعد جهود مضنية "فهمت الدّولة العثمانيّة أن استرداد الجزائر من فرنسا بالمباحثات السياسية فقط ، غير ممكن.

2– دور حركة الجامعة الاسلامية في تعزيز التواصل بين الجزائريين والاتراك منذ عهد السلطان عبد الحميد الثاني :

يقسم الأستاذ د. أبو القسم سعد الله، مسيرة الجامعة الإسلاميّة في الجزائر، إلى مراحل ثلاث، لكل منها خصوصيّاتها. هي:

تمتدّ المرحلة الأولى من (1830 إلى 1870). وقد ميّزها سعي فرنسا الدّءوب لقطع كل قنوات الاتّصال بين الجزائر ومحيطها الحضاري العربي الإسلامي، تمهيدا لتحقيق الاندماج على أوسع نطاق. (فكري، اجتماعي، وإداري) واعترف العديد من الفرنسيّين بصعوبة المهمّة، فالإسلام كان حصنا منيعا للمجتمع الجزائري يحميه من محاولات الاندماج. وظلّ الجزائريّون خلال المرحلة المذكورة في كرّ وفرّ دائم مع آلة الاحتلال الفرنسي، من خلال حركات المقاومة الشّعبيّة.

وكانت نهاية الأمير عبد القادر سنة 1847 والحاج احمد باي سنة 1848. إيذانا بنجاح إستراتيجيّة الاحتلال الدموي التي انتهجتها فرنسا بقيادة الجنرال بيجو . Bugeaud.

و كانت حرب القرم (1853–1856)، التي قامت بين روسيا والدولة العثمانيّة، مناسبة لربط الصّلة بالمشرق، وكانت فرصة استعاد فيها بعض الجزائريّين ذكريات الماضي، كما التقى الأبناء بالآباء .لقد بقى الجزائريّون المجنّدون عشرون شهرا على جبهات القتال، وكان عددهم 2200 جندي. وقد نوّهت الصحف حينها بشجاعتهم فيها، واستماتتهم في الدّفاع عن الخلافة العثمانيّة، ضد الرّوس كما كتب محمّد بن إسماعيل أشعاره الجميلة، تخليدا للذّكرى. وقد اضطرّت فرنسا لإعادة المجنّدين بحجّة عدم الكفاءة، لكن الواقع هو بسبب الخوف على تأجّج عواطفهم ومشاعرهم الدينيّة.

أما المرحلة الثّانية ، فهي تشمل مرحلة السبعينيّات من القرن التّاسع عشر، وفيها ظهرت بواكير الجامعة الإسلاميّة، من خلال جمعية العروة الوثقى ومجلّتها.

وقد ظهر بالجزائر نشـــاط مكثّف، تزامن مع ظهور الجامعة الإســـلاميّة، وتمثّل على الأخصّ في نشـــاط الأمير محي الدّين بن الأمير عبد القادر في الحدود الشـــرقيّة، انطلاقا من تونس وطرابلس الغرب، وتنســـيقه للجهود الحربيّة مع بعض الزّعماء الدّينيين منهم بوشوشة، وبن ناصر بن شهرة، والرّحمانيين، كما بعث بالرسائل إلى القبائل والزوايا، يدعوها للجهاد ويبشرها بقدوم جيش تركي بقيادة نائب ملك مصر عبّاس باشا، للسّيطرة على تونس وتحرير الجزائر.

كما ظهرت في هذه الفترة الجمعية الخيريّة الإســـلاميّة، والتي قدّمت عرائض عديدة للباب العالي، أهمّها عريضـــة مؤرّخة في 25سبتمبر1871 م، وأخرى في 28مارس1872م ،تتمحوران حول انتصـارات بوشـوشـة و الأمير محي الدّين بن عبد القادر الجزائري في أحداث الصّحراء، التي سبقت الإشارة إليها .وقد تضمّنت العرائض نجدة من السّلطان للتّخلص من بطش فرنسا، والعودة إلى حظيرة الدّولة العثمانيّة العليّة.

أمّا المرحلة الثّالثة، فبدأت في الثمّانينات، وهي مرحلة خصبة في حقل العمل في إطار الجامعة الإسلاميّة، فقد تولّاها السّلطان العثماني عبد الحميد الثّاني نفســه، بعد تبنّيه لفكرة الجامعة الإســلاميّة، واتّخاذها ســياســة رســميّة للدّولة، في مواجهة أعداء الإسلام والدّولة العثمانيّة. كما جاءت بالأخصّ على اثر احتلال فرنسا لتونس عام 1881.الأمر الذي جعل الدّولة العثمانيّة تركّز جهودها على الجزائر، وفتحت المجال واســـعا أمام هجرة الجزائريين إلى أقاليمها، وقدّمت لذلك الغرض امتيازات معتبرة، كما عملت على إدماجهم وترقيّتهم في المناصب الإدارية والعسكريّة، ووظّفت بعض أفراد عائلة الأمير عبد القادر للغرض ذاته، وكانت إحدى غاياتها، مواجهة الحملة الغربية الشرسة عليها، وإضعاف موقفها في مستعمراتها وعلى الصعيد الدولي.

3-جزائريون في قلب القضايا الاسلامية:

يعد عمر بن قدور من اســاطين الصــحافة العربية في الجزائر في مطلع القرن العشــرين، وقد ســخر قلمه لغرض الدفاع عن الجامعة الاسلامية وقضايا العروبة والاسلام، فخصص في فاروقه صفحات للغرض مبرزا تعاطفه مع العثمانيين في مواقف مختلفة.

بيّن ابن قدور أهميّة القوميّة أو الجامعة الإسلاميّة بقوله «وتلك الرّابطة، هي قوّة روحيّة، إذا تمكّنت من ضمير المرء، تجعله يحنّ إلى أخيه حنوا، لا يرى به عند أخيه عيبا ينكره عليه، أو شذوذا يخذله بسببه، رابطة حثّ عليها الإسلام قبل أن يحثّ على الصّلاة والصّيام، فأصبح بها أهلوها المعتنون بتنميّتهـــا متضافرين، وقلوبهم صخور مرصوصة إلى بعضها، يتألّف منها سور ضخم لا تهزه زوابع الشّقاق ولا تمسّه أمواج التّخاذل. لقد جسّد إحساسه هذا بمناسبة الحرب البلقانيّة، فكتب قصيدة شعريّة منها الأبيات التّالية:

قد أضرم البلقان حربا انه لتراث قوم أهملوا وماتوا

أحواله تعني ذويه ، وإنما أحوالنا رزء ونحن جناة

وبعد استرجاع تركيا لكرامتها وأراضيها (أدرنة)، وعمّت الفرحة أرجاء العالم الإسلامي، واكب بن قدور تلك الفرحة بقصيدة جاء فيها:

بشرى أدرنة للهلال حمـاة جاءوك فيهم همّة وثبـات

قد أنقذوك من العدا، فتحيّة للمسلمين ، وللعدا النّكبات

ولقد أبوا أن يستقرّ بك الهلال وللهلال إذا أبو وثبـات

كما خصص مقالات طوال للقضية الطرابلسية وكتب مقالته الشهيرة الذائعة الصيت بعنوان "ليتقوا الله في طرابلس" في مجلة الحضارة العثمانية عدد132، ولم يتوقف عند حدود الكتابة فبادر للدعوة الى انشاء جمعية التعارف.

ب–خوالدية صالح وجمعية الاتحاد الاسلامي:

يعتبر الخالدي صالح بن عمار من الشخصيات الجزائرية القليلة التي اهتمت بالسياسة ،وتمرغ في ربوعها مبديا ذكاء وحنكة مميزة، انضم الى الجامعة الاسلامية وصار من دعاتها بل وأقطابها ايضا ،ومن المقربين من السلطان العثماني الذي كلفه برئاسة جمعية الاتحاد الاسلامي ،وهي اكبر هيئة دعائية للجامعة الاسلامية قبيل الحرب العالمية الاولى ،واصدر باسم الاتحاد البيان الشهير الذي ابرز فيه اهدافه وحدد معالمه ،منبها المسلمين بالعالم اجمع الى خطورة ما يحاك ضدهم من طرف الغربيين ،داعيا اياهم الى التضامن والاتحاد والعمل بشكل جماعي لمواجهة الاخطار المحدقة، وبرى ان الانضواء تحت سلطة الخلافة العثمانية وزعامة السلطان عبد الحميد هي الحل الامثل لتحقيق النجاح.

تدل تصريحات ومواقف وكتابات الخالدي إلى انه كان من دعاة الجامعة الإسلامية، وانه صاحب قضية ومبدأ، ناضل في سبيل القضايا العربية الإسلامية بحزم وشجاعة. ولم يكن يفرق بلين الشعوب العربية والإسلامية في نضاله، ويرى أن الجسم الإسلامي واحد وعليل، وأن أسوء علله الانقسام والتشرذم وتنوع الولاءات وتشعب المصالح الضيقة على حساب قضايا الوحدة والتحرر.

ج–الجزائريّون والحرب العالمّية الأولى 1914–1918:

مثلت الحرب العالمية الأولى فصلا هامّا من فصول الصّراع بين الجامعة الإسلاميّة والدّول الغربيّة، والحقّ أنّ هذا الفصل كان حاسما ومصيريا إلى حد كبير ، نظرا للطّابع العالمي للحرب ، والنّتائج التي ترتّبت عنها، وقد لجأ كلّ طرف فيها إلى تسخير ما لديه من إمكانات معتبرة، مادية ومعنوية لكسبها، وإذا كان الصّراع في ظاهره، يبدوا ذو أسباب قوميّة تتعلّق بمنطقة البلقان وتناقضاتها الدينيّة والعرقية والاقتصاديّة، ومقتل ولي عهد النمسا الارشيدوق فرديناند في "سراجيفو"، لكن جوهر الصّراع كان استعماريا تنافسيا، مع التّركيز على الشرق الادنى وتصفيّة المسألة الشرقيّة ، وكانت الدّولة العثمانيّة احد الأطراف الأساسيّة فيها ، وقد أعلنت عن تحالفها مع دول الوسط ،وعلى رأسها ألمانيا ، في مواجهة مع أعدائها التقليديّين فرنسا وبريطانيا.

أعلن السّلطان العثماني دخول تركيا الحرب، على اثر التحرشات الروسية على حد قوله، وقد طلبت الدول الكبرى من سفرائها مغادرة تركيا، ثم ضربت أساطيلها مضيق الدّردنيل، وهي اعتداءات أوجبت " اخذ السلاح والخروج إلى الهجوم، حيث صدر الإذن بانضمام جيوش الدّولة العليّة إلى جيوش ألمانيا والنمسا. واستنهاضا منه للجيوش ورفع الهمم، خاطبها السّلطان بقوله:« عساكرنا الشّجعان والأبطال، إن الدّين والوطن صاحا صيحة كبرى، وطلبا منكم التّضحية بأرواحكم من اجل نصرتهما. " أن ثلاثة مائة مليونا من المسلمين، أنظارهم متوجهة إلى الله والكعبة، ثمّ أليكم، انتم أنجال السّلف الصّالح، ألّذين كان يحترمهم جميع الأعداء، كما أنهم دافعوا عن البلاد المقدسة والقبر النبوي الشريف، إنّنا انضممنا إلى أحسن وأقوى جيش في العالم اجمع، وبفضل الله نخرج من الذّل والمقت.»

كما بادرت الدّولة العثمانيّة إلى إصدار فتاوى، تتعلّق بإعلان الجهاد للمسلمين ككل، وهناك اختلاف حول تاريخ ذلك، فقد ذهب" أجيرون "إلى إنّ الإعلان كان في 21 نوفمبر1914، في حين يذهب الأستاذ علي مراد، إلى أنّ ذلك كان في 23 من نوفمبر، وهي كلها تواريخ تبدو غير صحيحة، وأن التاريخ الأدقّ ربما، يكون هو الجمعة 14نوفمبر ، حسب تحليل الأستاذ التليلي العجيلي ،في أجواء احتفالية كبيرة .

كان الإعلان بمسجد السّلطان الغازي محمد الفاتح ، وهناك جرائد معاصرة تؤكّد ذلك، كالاتّحاد العثماني البيروتية ليوم 11/20، وكذلك صحيفة الإصلاح، التي نشرت نصّ الفتوى في عددها ليوم 11/18 .، وقد حرّر الفتوى آنذاك خيري بن عون الأركوبي، من عائلة عون المنافسة لبني هاشم، في شكل خمسة أسئلة وقعت الإجابة عليها .

واعتبرت الفتوى أنّ مهاجمة الديار الإسلاميّة، والغارة عليها مع ما ترتب عنها من غصب للممالك الإسلاميّة، واسر المسلمين وسبيهم يفرض عليهم الجهاد جميعا، وهو فرض عين على القادرين بالمال والنّفس، وانّ كل انخراط في صفوف الأعداء، يعدّ إثما عظيما، ومعصية وحرام شرعا.

كما لاحظنا تركيز الفتوى على الدول الثلاث روسيا ، وفرنسا، وبريطانيا ، دون الإشارة إلى ايطاليا والظّاهر أنّ السّبب كان رغبة الّدولة العثمانيّة وألمانيا، ضمان تحييد ايطاليا في الحرب، وميّزت فترة إعلان الحرب أيضا جملة من البيانات والدّعاية الواسعة، مستندة إلى آيات قرآنية وأحاديث نبوية للحثّ على الجهاد، ودخول الحرب ضدّ الحلفاء.

لقد وجدت السّلطات الفرنسية نفسها أمام وضع صعب ومعقّد ،نتيجة الدّعاية العثمانيّة المركّزة ، وتكمن الصّعوبة أساسا في صعوبة إقناع المجنّدين من الجزائريّين للتّوجه نحو جبهات القتال بأوربا، والتي كانت تعني الموت المحتّم ، بالأخصّ في "الأشهر الأولى من الحرب التي كانت مأسوية" ، حيث تسرّبت المعلومات حول حجم الخسائر ، وبالأخصّ في صفوف الرّماة الجزائريّين ، وبناءا على ذلك عمدت تلك السّلطات إلى وسائل متعدّدة ترغيبا وترهيبا ، "فالقيّاد صاروا يعيّنون في وظائفهم حسب عدد المجنّدين،وزعماء الطّرق يدعمون التّجنيد بحملات دعائيّة ." وظهر الاستياء العام في جبهات القتال ، حيث رفضت بعض الوحدات القتاليّة أن تقاتل ،أمّا البعض الآخر فقد فرّت من ميادين المعركة ، باتجاه القوات الالمانية والعثمانية.

أوضح الجنرال "جوفر"، أنّ القانون العسكري لن يتسامح مع الفارّين، وانّ مصيرهم الموت

و رغم إعدام اثنا عشر مجنّدا حاولوا الفرار من المعسكر، يقول احد الضّباط فانّ عمليات الفرار استمرّت ، وهو يشير إلى تأثير الدّعاية المضادّة للجامعة الإسلاميّة ، وعموما فالفرنسيّين يعترفون بانّ الأهالي لم يكونوا مخلصين لهم مطلقا.

وفي مواجهة الدّعاية العثمانيّة ،لجأت فرنسا إلى محاولة الظّفر بتأييد بعض أبناء الأمير عبد القادر الجزائري ، لما تتمتع به عائلة الأمير من تقدير واحترام، وكانت المنافسة شديدة حول هذا الموضوع ، والظّاهر أنّ فرنسا ظفرت بتأييد الأميرين عمر (أكرمت الأمير عمر بالأوسمة و النيّاشين)والظّاهر، لكنّهما كانا تحت الرّقابة الشّديدة، لم يسعفهما تقديم الدّعم للفرنسيّين، وقد تمّ إعدام الأمير عمر ، مع رموز الحركة العربيّة في سنة 1916،من طرف والي الشّام جمال باشا ، كما استمالت إليها ايضا الأمير سعيد ومنحته مرتبا شهريا معتبرا ، لكنّه هو الآخر أُعدم في سنة 1916.

وقد وظّفت الدّولة العثمانيّة الزّعماء والوجهاء من المهاجرين والمهجرّين، ومن ابرز الأمثلة بعض أبناء الأمير عبد القادر، فقد صدرت تعليمات من الباب العالي إلى والي دمشق، بالعمل على استمالة أبناء الأمير عبد القادر بأيّة وسيلة، فرقّي الأمير "علي" من نائب على دمشق، إلى نائب رئيس المجلس العثماني . واستمالوا إليهم الأمراء الأربعة محمد، محي الدين، عبد المالك، وعلي باشا.

لعبت الصّحف دورا كبيرا في نشر الفتوى الشريفية وترجمتها إلى مختلف اللّغات، وطلب من الأئمة والخطباء الترويج لها في المساجد، كما طبعت في مئات الآلاف من النّسخ المطبوعة ووزّعتها لجان الدّعاية، وقد اختارت لجنة الدّفاع القومي بالقسطنطينيّة، والمتكوّنة من شيخ الإسلام وأنور باشا وسفير ألمانيا العناصر المكلّفة بالدّعاية ،ومنهم : شريف عادل باشا،

وشريف علي مظهر، وعبد الرحمان باشا، وكلهم من أعيان دمشق، مكلفين بمصر وتونس والجزائر، وفي سبيل اختـــــــــــراق المســـتعمرات الفرنســـيّة والبريطانيّة اســـتعملت الّدولة العثمانيّة كلّ الوســـائل الممكنة للغرض، كما جنّدت كلّ فئات المجتمع من(الصـحفيين ، الدّعاة والعلماء ، الجواسيس ، المستشـرقين الألمان...الخ). وقد ظهرت لجنة علماء المسـلمين، وحرّرت نداء وجهته إلى المسلمين الخاضعين لفرنسا وبريطانيـــــــــــا وروسيا، وتتألّف من شخصيّات هامّة ونافذة على غرار احمد الشريف التّونسي، والمدعو عمر الورغي من الجزائر أيضا، (لم يتسنى لنا التّعرف عليه)، وغيرهما من الشخصيّات.

ويعتبر علي باشـا من أكثر أبناء الأمير نشـاطا وأقواهم شـخصـيّة –باعتراف الفرنسـيّين – فهو يمتاز ببعد النّظر وسـعة النّفوذ، ولم يخضع لإغراءات الفرنسيّين ودعايتهم، وكان يتمتّع بنفوذ كبير في سوريا، تمّت ترقيّتـــــــــــه إلى باشا في عام 1896. وعيّن(قائمقام) القنيطرة، كما أنّ زواجه من أخت عزّت باشا جعله قريبا من السّلطان عبد الحميد الثّاني.

وجّهته السّـلطات العثمانيّة إلى برلين، لزيارة اسـري شـمال إفريقيا، وحملهم على الانضـمام للجيش العثماني، وهو ما حققه، وقد حضر تدشين مسـجد للأسرى المسـلمين في (محتشـد زوسـن) قرب برلين، وألقى خطابا على الأسرى الجزائريّن يحثهّم على محاربة فرنســـا اللّعينة،ويكون ربمّا نجح في تكوين كتيبة من الرماة اغلبهم من الجزائريين، كما بادر علي باشـــا إلى تكذيب ادّعاءات بعض الصّـحف المغرضـة مثل la dépêche marocaine "" الّتي تحدّثت على أنّ الأمير وأبناؤه ،كانوا محبّين لفرنســـا وموالين لها، مبرزا أنّ الأمير عبد القادر والده، ظلّ يحارب فرنســـا فترة طويلة وانّه ناصـــبها العداء، وانّ أبناءه وحاشـيته على مذهبه، لأنّهم لم يروا منها إلّا الظلّم والبلاء، وانّ أهالي الجزائر وتونس يشـهدون على ذلك، ثمّ هي سـاقتهم إلى محاربة إخوانهم في الدّين، لقضاء مصالحها، ثم أشاد بالمعاملة الحسنة على يد الألمان لأسرى المسلمين، حتى أنهم أصبحوا على حد قوله :

" يدعون للدّولتين الألمانيّة والعثمانيّة بالنّصر والتّمكين، ويتمنّون لو أنّهم كانوا في صفوف إخوانهم يقاتلون معهم جنبا إلى جنب، أعداءهم وأعداء الإســـلام، ليطهّروا أنفســـهم من الإثم والوزر، الذي جرّهم إليه أعداؤهم "، ومن أبناء الأمير أيضـــا الأمير عبد المالك، وهو الابن الثاني قبل الأخير للأمير عبد القادر، وهو من اشدّ المتحمّسين للجامعة الإسلاميّة، وقد عاصرها وكان شديد العداء لفرنسا.

"كان الأمير عبد المالك عقيدا في الجيش العثماني، ومع ذلك سـعت فرنسـا لاسـتمالته فعرضـت عليه دخول الجزائر والانخراط في صـــفوف جيشـــها، وهو ما تمّ فعلا، لكنّه لم يفعل ذلك عن قناعة بل لحاجة في نفســـه ، فالرجل كان يضـــمر الضّـــغينة للفرنســيّين ويتربّص بهم الدّوائر، واثر مؤتمر" طنجة" عينته قائدا للشـــرطة الشـــريفية بطنجة " لكنّه كان يعدّ العدّة للثّورة ضـــدّها، ووضع خطّة مشتركة مع سفير ألمانيا بمدريد، لفتح جبهة حربيّة ضدّ الفرنسيّين، وفي صورة نجاح الخطّة، تعمل الدّولة العثمانيّة وألمانيا على إقامة مملكة واحدة تضمّ المغرب والجزائر.

دخل الأمير عبد المالك أراضـي المغرب الأقصـى في أواخر سـنة 1914، وكوّن في بني "مسـتارة" أوّل قوّة لمقاومة الفرنسـيّين بالمغرب، لم تلبث أن اندلعت في" تازة"، قريبا من الحدود الجزائريّة ويضمّ جيشه ضبّاطا أتراك وألمان، ونجح في استمالة الأمير الريفي عبد الكريم الخطّابي وزعماء آخرون، منهم الهنية، الشنكيتي، الريسوني. وتمكّن من تحقيق انتصارات عديدة، والاستيلاء على أموال وذخائر معتبرة.

لقد كان حريصا على إعادة أمجاد الماضي، فكانت تأخذه نشوة ذلك فيبيت مفكّرا حتّى الصّباح، وحرصه على ذلك جعله يضع آمالا عريضة على الجامعة الإسلاميّة والتّحالف الألماني –العثماني، فأرسل الرّسل إلى الجزائر وتونس لإعلان أهلها الجهاد، معتبرا أنّ اليوم المنتظر صار قريبا جدّا ويعلم «أعداء الإسلاميّة في العالم أنّ قلوب الملايين من المسلمين، تخفق اليوم بكلمة الجهاد المقدّس»

ومن الّذين نشطوا في الحرب لصالح الدّولة العثمانيّة والجامعة الإسلاميّة، نذكر الشيخ سليمان الباروني، [1]و أشارت المصادر الفرنسيّة ايضا إلى المدعو الحاج عبد الله بوكابوية، الذي ألّف كرّاسين احدهما بعنوان " الإسلام في الجيش الفرنسي "والكراس الثاني هو: " الجنود المسلمون في خدمة فرنسا .les soldats musulmans au service de la France . شهّر فيه بالمعاملة السّيئة لجنود شمال إفريقيا، وركّز أيضا على العلاقات الوطيدة لمسلمي شمال إفريقيا بتركيا، والتي يعتبرونها مصدر فخر واعتزاز لهم.

ومن الشّخصيات الّتي لعبت دورا في هذا المجال أيضا، الشّيخ محمد الخضر حسين –الذي صار لاحقا شيخا للأزهر الشّريف– ، والذي كان رفقة الشّيخ صالح الشّريف وإسماعيل الصّفائحي، واتجهوا إلى ألمانيا للاتّصال بالجنود المغربة المأسورين هناك، وحضر يوم 14جويلية سنة 1915، بحضور سفير تركيا في برلين، تدشين مسجد في معسكر الهلال بفنزدورف wunsdorf، لقد ألقى كلمة بالمناسبة، موضّحا انّه "في الوقت الذي بنت فيه ألمانيا مسجدا للمسلمين، عمدت فرنسا إلى تحويل جامع صالح باي بقسنطينة والجامع الكبير بعنّابه إلى ثكنة، حشدت فيها جنودها" . ويذكر المصدر أنّ الكلمة ألقيت على الجنود الشّمال إفريقيين في جبهات القتال، على شكل نسخ تحريضيّة بواسطة قنابل يدويّة .

وقد كانت معاملة الألمان، للأسرى الجزائريّين خلال الحرب حسنة ، وقد وجّهوا بعد ذلك إلى جبهات القتال في الشّرق الأدنى إلى جانب الأتراك، أو وظّفوا لمحاربة الفرنسيّين في جبهات أخرى، وبين سنتي 1915 و1916، انشأت في برلين "اللّجنة الإسلاميّة لاستقلال إفريقيا الشّمالية" وحضر احتفال انشائها الأمير على بن الأمير عبد القادر الجزائري ، واجتمعت هذه اللّجنة في سنة 1916، لوضع خطّة عمل ضدّ فرنسا في المغرب العربي ، كما عيّن السّلطان العثماني الشّيخ سليمان الباروني، خليفة له في طرابلس الغرب ،وبتعليمات لتشجيع الثّورات بالمنطقة. ولا يستبعد أن تكون الاضطرابات التي شهدتها بعض مناطق الجزائر (الاوراس والهقار) في تلك الفترة انعكاسا لذلك.

كما أنّ تمجيد ألمانيا والدّولة العثمانيّة كان حاضرا في الأوساط الشعبيّة ، ففي سطيف– استمع في أواخر سنة 1914 – إلى أصوات تهتف "تحيى ألمانيا، تحيى اسطنبول ، تسقط فرنسا. كما انّه كانت هناك إشاعات تشير إلى "وصول الجيش التركي" ،وتحرك السنوسيّين باتجاه ورقلة، الأمر الّذي ألهب حماس الجزائريّين في المناطق المذكورة للجهاد، كما كان هناك أيضا حضور قوي لألمانيا في الأغنية الشعبيّة ، والغناء الشّعبي هو متنفس الجماهير، وأسلوب هام في التّعبير عن إشجانهم وأمانيهم.

كما انتشرت صور السّلطان العثماني في كلّ مكان، وكانت العديد من البيوت تعلق صورة السّلطان على جدرانها وفي أسفلها عبارة" اللهم انصر سلطاننا". وهو دليل على الولاء للدّولة العثمانيّة ومبادئ الجامعة الإسلاميّة.

لقد مثّلت الحرب العالميّة الأولى فعلا، فترة خصبة لدعاة الجامعة الإسلاميّة، الذين شنّوا حربا فكرية وميدانية ضدّ الحلفاء المعادين للدّولة العثمانيّة والمسلمين عامّة ، وبمباركة الخلافة العثمانيّة وتأييد ألمانيا، وكأنّي بلسان حالهم يقول، أنّ هذه

المجابهة مصـــيرية إلى ابعد الحدود، وانّ خســـارتها ســـيترتّب عنها ما لا يحمد عقباه. ولم تكن الدّولة العثمانيّة، وهي تحالف ألمانيا ليغيب عنها ما يحاك ضدّها في الخفاء، فقد كانت على علم بالمؤامرات الفرنسية- البريطانية السّريّة، باقتسام ما تبقّى من تركة الرّجل المريض في المشرق العربي، وبوعود الانجليز لليهود بالوطن القومي في فلسطين، بل تكون حذّرت الشّريف حسين، زعيم الثّورة العربيّة، من مغبّة الوقوع في شـراكهم، لكن ربّما كانت أكاذيب ومناورات الجاسـوس البريطاني" لورانس" العربي، لدى الأمراء العرب، اصدق من نصائح العثمانييّن .

أدرك الجزائريّون بالفطرة، أنّ هزيمة تركيا وحلفائها ،ســـيكون وبالا على الأمّة بأكملها، وقد تمرّســـوا على أكاذيب الفرنســـيّين، ويعلمون أن لا ميثاق لهم. لذا فقد كانت نظرتهم إلى عرب المشـرق المنضـوين تحت لواء الشـريف حسـين، نظرة ازدراء واحتقار في الغالب، وما إن وضـعت الحرب أوزارها حتى تبيّن الغثّ من السّـمين، وظهر لدعاة الجامعة الإسـلاميّة وغيرهم صـدق ما كانوا يحذرون.